المحاضرة -01-

الرواية في الأدب الجزائري

شكلت الرواية الجزائرية ومنذ ظهورها،حالة استثنائية في عوالم السرد،بدءًا برواية أبوليوس الأمازيغي في رائعته– الحمارالذهبي –[1]*،التي ألهمت المتخيل السردي الكوني بتعدد ألوانه ومدارسه .

إن المتأمل في تحولات البنية الفنية للنص السردي الجزائري،يجد لديه خصوصية تطبع كل مرحلة من مراحله من السبعينيات إلى مابعد التسعينيات.

مرحلة السبعينيات :

لما افتكت الجزائر استقلالها،كان لزاما على أبناء الوطن السعي لبناء وطن فتي،يكبرُ مع أحلام مواطنيه،ولم يخرج المبدعون،وبالخصوص الروائيون عن هذا التصور،إذ ومع بداية السبعينيات جاء الفكر الإشتراكي المطعم بالفكر الثوري آنذاك،فكانت البداية التي حاولت أن تلامس من الناحية الفنية روح الرواية في ذلك الوقت،على غرار النصوص الآتية :"صوت الغرام" 1967 لمحمد منيع وغيرها من النصوص التي لم تكن سوى محاولات محتشمة في هذا الفن السردي.

يمكن أن نسوق هنا البدايات الحقيقية للرواية المكتوبة باللغة العربية برواية "ريح الجنوب"* سنة 1971،التي حاول من خلالها الكاتب أن يتحدث عن فلسفة الهامش والمركز،وكذا الفكر الإقطاعي الذي

---

* لقد أثر هذا المتن السردي عالميا ،متجاوزا الحدود الجغرافية إلى الكاتب الإنجليزي هنري فلدنغ Henry.Fielding صاحب قصة "حكاية توم جونس المعثور عليه"وكاتب النهضة الإيطالية (بوكاس)صاحب قصة Le Décaméron التي كتبها بين 353-1348.

[1] محمد الصديق باغورة،مقالات في الأدب الجزائري القديم والحديث،دار الكتاب العربي،،الجزائر ،2007،ص88.

* ريح الجنوب تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض وبالمرأة،وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل ،كما تعالج الدوافع الشخصية و التصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره ، ثم تعرض لجانب الشرفي الإنساني وصراعه الدائم ضد رواسب الماضي ومحاولته للتفوق على نفسه ولكنه يساق إلى نهاية لا يريدها لأن الظروف أقوى منه.

[1] عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري (ضمن مجلد)، دار الكتاب العربي، الجزائر،2011، ص197.

كان سائدا آنذاك،إذ أصبحت هذه الرواية تطرح العديد من الإشكاليات التي أفرزتها الثورة الزراعية في الأرياف وفي مناطق الظل التي لامستها هذه السياسات التي أنتجها الفكر الإشتراكي؛فتتشابك بذلك المصالح وتغدو المصلحة فوق المشاعر الإنسانية و جوهرها،كما لابد أن ننوه إلى أن روايته "نهاية الأمس" لم تشذ عن هذه المواضيع،إذ طرحت قضية الإقطاعية ووقوفها وجها لوجه مع المشروع الإصلاحي .

بعد سنة من صدور رواية بن هدوقة الموسومةب"ريح الجنوب" ظهرت رواية «اللاّز" للروائي المثير للجدل الطاهر وطار،حيث يكون البطل في هذه الرواية ليس شخصا بعينه،إنما هو الشعب بأكمله و هو الثورة أيضا. فإن زيدان الشخصية الرئيسة في الرواية يقتل ذبحا من الثوار بعد أن يرفض الانفصال عن الحزب الشيوعي الجزائري،وكان شرط جبهة التحرير الوطني أن ينضم الأفراد إلى الثورة فُراد ى متجردين من انتمائهم السياسي،وهذا ما حدث مع زيدان. لكن انضمام زيدان الفردي إلى الثورة لم يكن مرفقة مع انسلاخه عن الانتماء السياسي للحزب الشيوعي،وهذا ما كان مرفوضا،ومن هذا المنطلق وقع الصِّدام بين زيدان ورفاقه الشيوعيين من جهة وقيادة الثورة من جهة ثانية،هذا الصدام الذي كانت نتيجته إعدام زيدان بمعية رفاقه وأمام عيني اللاز الذي ظل يقف مشدوها لا يصدق عينيه، "انفجرت الدماء من قفا أبيه فصاح في رعب: «مايبقى في الواد غير حجاره» "[1]

ففي هذه الرواية،يقدم الروائي شخصية (اللاز اللقيط) ومن خلاله يعكس واقع مجتمع هجين يتحول عن مبادئه سريعا.

إن الطابع السياسي الذي انطبعت به النصوص الروائية في هذه الفترة لا يمنع الطرح الجذري الذي اتسمت به هذه النصوص الروائية والقائم على محاكمة التاريخ أو الواقع الراهن بلغة فنية جديدة.

---

1 الطاهر وطار،اللاز، موفم للنشر،الجزائر ،2007،ص173.

مرحلة الثمانينيات :

لم يكن المتخيل السردي (الرواية) بمعزل عن هذه الفترة المفصلية في تبلور البنية الفنية إذ أن أحداث أكتوبر و ما سبقها جعل الرواية تمتلك حساسية جديدة من الواقع،وبدأت ملامح هذا التميز في رواية "الجازية و الدروايش"(1983) في اتصال بن هدوقة من خلال هذه الرواية بالثقافة الشعبية والتاريخ،ممثلة في شخصية "الجازية" هذه الفتاة الجميلة التي ارتبط اسمها بالسيرة الهلالية،كما أن هذا النص تصالح مع التراث ولم يدر له بالظهر مثل بعض الروايات في ذلك الحين.

لقد نقلت رواية الجازية والدراويش النص السردي الجزائري إلى مصاف التجريب الفني في هذا النوع السردي،عن طريق خلق مناخات جديدة للقارئ كما "تتجلى لنا أصالة عبد الحميد بن هدوقة وقدرته على تمثل تجارب الآخرين"[1] وتجاوزها،كما أن هناك دعوة صريحة لمن تخلخلت هويتهم ،لقراءة هذا النص الذي يقف موقف المتصالح مع الذاكرة التراثية للشعب الجزائري ويقف موقف المعارض،على لسان شخصياتها السياسة الأحادية في كل الجوانب الحياتية،إذ لا صوت فوق صوت الحزب الواحد.

كتب الروائي الطاهر وطار نصا يتيما في هذه الفترة تمثل في رواية " تجربة في العشق "1988،كما تمرد واسيني الأعرج روائيا وفكريا ليقف موقف الناقد للتاريخ الرسمي،فكتب رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش "سنة 1983م،الذي يهدر فيها دم الشيوعي "لخضر" و هو من الشخصيات السياسية الأساسية في هذه الرواية،كان شيوعيا نقد الحكم بذبحه المجاهد البسيط "عيسى" زمن الثورة.

---

[1] أحمد منور،ملامح أدبية-دراسات في الرواية الجزائرية،دار الساحل،الجزائر2008 ،ص 132.

كما ألف الحبيب السايح رواية" زمن النمرود" سنة 1985 ،ومن الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضا أعمال الروائي جيلالي خلاص رواية "رائحة الكلب" سنة 1985م،وروايته "حمائم الشفق" سنة 1988م،كما كتب أيضا مرزاق بقطاش روايته "البزاة "سنة 1982م،و"عزوز الكابران "سنة 1989 .

لقد مهدت الرواية الثمانينية لما سيأتي من محن للوطن وللمثقف الذي أصبح الموت ظله في فترة التسعينيات وذلك نتيجة المطالبة بالتعدد وتكريس ثقافة الاختلاف.

رواية التسعينات :

كانت أحداث أكتوبر 1988 السياسية بوابة النار والنور بالنسبة للتجربة الرواية المعاصرة في الجزائر،حيث أصبح الموت هواءً تستنشقه رئة الوطن كل حين..هذه الفترة تعطل فيها المسار الانتخابي ودخلت الجزائر،ونتيجة صراعات حزبية في نفق مظلم،حيث أصبحت تيمة السواد مهيمنة.

عاش الروائيون الجزائريون في فوهة البركان خلال هذه الفترة،ولكن ما طبع هذه الفترة كون بعض الروائيين سقطوا من دون قصد في فخ التسجيلية دون الإبداع فأصبح بذلك النص اجترارا لأحداث تمت كما هي في الواقع،ولعل رواية «متاهات ليل الفتنة»لحميدة العياشي واحدة ممن وقعت في هذا المأزق فاستعملت مثلا لغة البرقيات الصحفية للتبليغ عن القتلى والمجازر،كما حذت حذوها عديد من الروايات من أمثلة : "فتاوى زمن الموت" لإبراهيم سعدي،و "الورم" لمحمد ساري و "دم الغزال" لمرزاق بقطاش .

وهناك روائيون آخرون تشرّبوا الموقف الجلل بروية وكتبوا نصوصا فائقة الجودة،من أمثال الروائي واسيني الأعرج الذي كتب رواية ضمير الغائب،ثم أتبعها برواية الليلة السابعة بعد الألف: الكتاب الأول: رمل الماية. دمشق / الجزائر 1993. هذه الأخيرة التي جن فيها سرد واسيني تبعا لجنون تلك المرحلة

الدموية،فقد عاد للتراث الإسلامي لينظر لتاريخ الهزائم ويربطها بالراهن اليومي .كانت هذه الرواية بمثابة الطلقة التي حررت تجربة واسيني أكثر حيث أنه أعلن مسايرته لترددات النص السردي الأول في الثقافة الكونية بعجائبيته وسحره وبمنطقها اللامنطقي في بنائه،ذلك أن هذا الروائي منبهر بهذا الكتاب الذي استلهم من نسق الكتابة فيه الكثير؛فيغد وبذلك واسيني من خلال رواية فاجعة الليلة السابعة قائلا الحقيقة المرة للملك شهريار على لسان دنيازاد التي وصفها ب"تفاحة الكتب الممنوعة و لبوءة المدن الشرسة"وأنه اختارها لتقول للملك والقارئ الوجه الآخر من رواية التاريخ ،هذا التاريخ الذي ارتبط بالدم والبارود والتوريث غصبا في الحكم،،،له ارتدادات في هذا العصر ... كما أن هذه الرواية تنبأت بالثورات التي حدثت في الأقطار العربية في السنوات السابقة،،وهي نص ثري بالأساطير و الحكايات والمتاهات السردية العجيبة.

أعلام الكتابة الروائية في الجزائر.

ولدت الرواية الجزائرية من الناحية التاريخية في زمن مبكر جدا ،هذا إذا اعتبرنا أن للجغرافيا دورا في تشكيل الأدب وملامحه الناشئة والناضجة. يعود التجلي الباكر للمتخيل السردي الجزائري لعوامل عدة نذكر منها رواية لوكيوس أبوليوس المادوري (نسبة لـ:مداوروش الكائنة بسوق أهراس ،شرق الجزائر)،هذا الأخير ألف رواية بعنوان " الحمار الذهبي" والذي يعتبر حسب الدراسات الأخير أول من كتب رواية كاملة تعتمد على العجائبية في بنائها. كما اكتمل مشهد الكتابة الروائية الناشئة بظهور رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد بن ابراهيم والذي عرف بالأمير مصطفى سنة 1849 بالجزائر،و أحداثها تدور حول قصة حب بين الكاتب وزهر ة الأنس التي كانت داية على الجزائر .كل ما ذكرنا سابقا يُحيلنا إلى إشكالية الريادة بين المشرق وبلاد المغرب ،وبهذا المنطق التاريخي تكون الأسبقية في الكتابة الروائية للجزائر والتي تأخرت في المشرق ،فهناك محاولة في مصر كتبها المويلحي عنوان"حديث عيسى بن هشام" سنة 1907 وحتى رواية زينب لحمد حسين هيكل التي يعتبر البعض أنها تمثل البداية الفعلية للرواية العربية 1914 ففيها خلاف حول أسبقيتها مع نظيرتها "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران .

عند الحديث عن الرواية الجزائرية الحديثة فلا بد أن نعرج على ثلاثة تواريخ مهمة أسست للكتابة الروائية في الجزائر ،نوردها كالآتي:

- 1947---غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو
- 1957 رواية الحريق لنور الدين بوجدرة
- 1972 رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.

لم يسلم التأريخ للرواية الجزائرية الحديثة من جدلية الأسبقية ،إذْ كان هناك خلاف بعد الاستقلال حول البداية الحقيقية للرواية الجزائرية ،هل كانت رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة أم اللّاز للطاهر وطار أم رمّانة للطاهر وطار. ولعل هذا يرجع إلى تصريح الطاهر وطار الذي يقول بأنه بدأ في كتابة روايته في ماي 1965 إلى أن

أنهاها سنة 1972 وهذا يدل على أنه أسبق من عبد الحميد بن هدوقة الذي سجل إنهاء كتابة روايته 1970 ولكنه لم يذكر تاريخ الشروع في كتابتها. كما أنه يجب التنويه إلى أن "رمانة" سنة 1970 والتي نشرها ضمن مجموعته القصصية "الطعنات" باعتبارها قصة ،ليعود وينشرها سنة 1981 باعتبارها رواية ،وهذا ما جعل الخلط يشوب حول البداية الفعلية للرواية .وخلاصة لهذا التراكم الجدلي ،اعتبرت طائفة من النقاد أن رواية "ريح الجنوب"هي البذرة الأولى للرواية الجزائرية المكتملة المعالم الفنية،لأن الفضل يعود لتاريخ النشر وليس النية في الكتابة،إذ سمي بن هدوقة عرّاب الرواية الجزائرية.

1- عبد الحميد بن هدوقة :

عبد الحميد بن هدوقة (09 جانفي 1925 – 21 أكتوبر 1996) بالمنصورة برج بوعريريج[1]، صاحب أول رواية جزائرية مكتوبة باللغة العربية، ريح الجنوب التي نشرت في سنة 1971، تسع سنوات بعد استقلال الجزائر. يعد من أشهر الأدباء الجزائريين، له عدة روايات و قصص قصيرة، كما شغل العديد من المناصب.

سيرة و حياة

عبد الحميد بن هدوقة (09 جانفي 1925 – 21 أكتوبر 1996) ، صاحب أول رواية جزائرية مكتوبة باللغة العربية، ريح الجنوب التي نشرت في سنة 1971، تسع سنوات بعد استقلال الجزائر. يعد من أشهر الأدباء الجزائريين، له عدة روايات و قصص قصيرة، كما شغل العديد من المناصب.

ولد عبد الحميد بن هدوقة في 09 جانفي 1925 بقرية الحمراء التابعة لمنصورة بولاية برج بوعريرج 200 كلم شرق الجزائر العاصمة.

[1] ينظر :عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1976،ط3، غلاف الرواية.

نشأ عبد الحميد بن هدوقة في عائلة اشتهرت بالعلم في كامل المنطقة حيث كان والده الذي تلقى العلم في جامعة القرويين بفاس بالمغرب، فقيها ومعلما درّس القرآن و أصول الفقه و الأدب و اللغة في مختلف قرى المنطقة بين برج بوعريرج و المسيلة و غيرها.

يقول عبد الحميد بن هدوقة أن طفولة الجزائريين الذين ولدوا بين الحربين العالميتين " كانت طفولة صعبة يميزها واقع مؤلم ويطبعها البؤس والتعاسة، خصوصا في الأرياف". غير أنه يعتبر نفسه أسعد حظا مقارنة بنظرائه الآخرين لأنه نشأ في عائلة مثقفة نسبيا مقارنة بالوضع السائد في تلك الفترة. و كان لأبيه " تكوينا يشابه تكوين أعضاء جمعية العلماء المسلمين و إن لم ينتسب إليها."

خلال صباه، التحق عبد الحميد بن هدوقة بالمدرسة الفرنسية الموجودة في المنصورة. وبالإضافة إلى تمدرسه كان يحفظ القرآن الكريم وأصول الفقه بالإضافة إلى قصص ألف ليلة و ليلة و سيرة بني هلال و ألفية بن مالك و غيرها من الكتب.

أبوه مدرسته الأولى:

كما يعتبر عبد الحميد بن هدوقة نفسه، محظوظا لأنه نشأ وسط الكتب، إذ يقول إنه عندما بدأ يحبو كان يحبو مع الكتب. حيث كانت تملك عائلته مكتبة ضخمة متوارثة عن الأجداد، تزخر بأمهات الكتب و كتب أخرى قيمة جدا لا تثمن بثمن كونها[1] مخطوطات كتبت على الورق الشاطبي الذي كان مشهورا بالأندلس نسبة إلى مدينة شاطبة الأندلسية التي كانت مشهورة بصناعة الورق. كما كانت تتضمن مخطوطات تعود إلى القرن الخامس عشر و السادس عشر و السابع عشر، منها في الفقه و الأصول و منها في القراءات و منها ما هو في النحو و الصرف و البلاغة و منها

[1] ينظر: الموقع الإلكتروني الخاص بعبد الحميد بن هدوقة،الرابط: https://www.benhedouga.com/content/%D8%A7%D9%
،يوم 19-02-2021، الساعة 9:41 .

ما هو في التاريخ و علم الفلك و فن الزراعة و الصيدلة و رسائل أمراء الأندلس التي سيحرقها الاستعمار الفرنسي خلال الثورة التحريرية بعدما جعلت قرية الحمراء منطقة محرمة و تم تهجير جميع سكانها من ديارهم.

و فيما يخص أولى مطالعاته للكتب عندما كان صغيرا. يحكي عبد الحميد بن هدوقة أن أمه كانت تنسج الزرابي، و كان أبوه يجلس في زاوية البيت بينماهو يقرأ القصص على أمه في الليل ساهرين على قنديل البترول، حيث كان يقرأ قصص عنترة و قصص الواقدي و قصص إفريقيا و الشام و غيرها، و بعض قصص من ألف ليلة و ليلية التي كانت الجزء الأهم التي يختارها له أبوه. و حينما تسأله أمه عن معنى جملة أو كلمة لم تفهمها، أحيانا كان يرد عليها بالخطأ فيقوم والده بتصحيح الخطأ سواء كان معنويا أو لغويا.

فوالده، إذن، كان بمثابة مدرسته الأولى، إذ قرأ عبد الحميد بن هدوقة على والده كتب الأجرومية في أصول النحو و شذوذ الذهب في النحو و أليفة بن مالك في النحو و شرح الماكودي و شرح بن عقيل في النحو و قرأ كذلك كتب ابن عاشر في الفقه و الدرة البيضاء في الفقه و الحساب و الأخضرية في الفقه و خليل بن إسحاق الذي كان مشهورا في القرى الجزائرية و غيرها من الكتب.[1]

يقول عبد الحميد بن هدوقة في حوار مع الكاتب التونسي، بن جمعة بوشوشة، في كتابه الرواية الجزائرية العربية "تربيت في أسرة عربية إسلامية متدينة و مثقفة وزاولت أغلب دراستي في الفنون الأدبية التقليدية و العلوم الشرعية على والدي الذي كان حافزي على التحصيل و العلم " . أما بخصوص إلتحاقه بالمدرسة الفرنسية الموجودة بالمنصوة، يقول أن ذلك كان إرغاما من أخواله إذ أباه كان نفورا من تعليم ابنه الفرنسية.

[1] ينظر: الموقع الإلكتروني الخاص بعبد الحميد بن هدوقة،الرابط:
. https://www.benhedouga.com/content/%D8%A7%D9%ينظر :: يوم 19-02—2021، الساعة9:49.

أخواله، و هم من العائلات المشهورة في المنطقة أيضا. إذ يقول " إنني التحقت بالمدرسة الابتدائية بالمنصورة فتابعت دروس تعليمها باللغة الفرنسية حتى نهايتها. ولكن والدي لم يكن راضيا على التحاقي بهذه المدرسة التي أرغمني على دخولها أخوالي. وبعدها انتسبت إلى المدرسة الكتانية بقسنطينة وإرضاء لوالدي قصدت الزيتونة بتونس..."

التحاقه بجامع الزيتونة بتونس:

التحق عبد الحميد بن هدوقة بجامع الزيتونة في سنة 1949، فبعد عودته من فرنسا كان قد وجد ابن عمه المسعود بن هدوقة طالبا من طلبة الزيتونة، فقرر مرافقة ابن عمه [1]

إلى جامع الزيتونة و نجح في تسجيل نفسه هناك في سنة 1949.

تتلمذ على عديد من الأساتذة الزيتونيين من بينهم عثمان كعاك و محمد الفاضل بن عاشور و محمد الصالح و لحبيب بن خوجة قصار الشاعر المشهور و غيرهم من الأساتذة الممتازين في الثقافة العربية الإسلامية.

و إلى جانب دراسته بجامعة الزيتونة، التحق عبد الحميد بن هدوقة بمعهد التمثيل العربي حيث زاول دراسته هناك لأربع سنوات.

و خلال دراسته في تونس نال الشهادة العالمية في الأدب من جامعة الزيتونة و شهادة التمثيل العربي من معهد فنون الدراما في تونس.[1]

[1]ينظر: نفس الرابط: https://www.benhedouga.com/content/%D8%A7%D9% ،يوم 19-02-2021، الساعة 9:50.
[1]ينظر: الطيب ولد لعروسي، أعلام من الأدب الحديث،دار الحكمة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009،ص152.

السلطات الاستعمارية تلقي القبض على عبد الحميد بن هدوقة و فراره من السجن إلى جانب دراسته، كان لعبد الحميد بن هدوقة نشاطا سياسيا بارزا في الحركة الطلابية بالزيتونة حيث ترأس جمعية الطلبة الجزائريين بتونس رفقة علي كافي كممثلين لحركة انتصار الحريات الديمقراطية.

وفي سنة 18 جانفي 1952، ألقي عليه القبض من قبل السلطات الاستعمارية بتونس بعد أحداث 18 جانفي 1952 ، حيث تم نقله إلى سجن المحمدية بتونس، غير أنه تمكن من الفرار و العودة إلى الجزائر .

العودة إلى الجزائر و اندلاع الثورة التحريرية:

هناك زاول التدريس بمعهد الكتانية بقسنطينة. و غداة اندلاع الثورة التحريرية، و في 5 نوفمبر 1955، جاءته معلومات مفادها أن البوليس الاستعماري سيعتقله، فهرب إلى قريته الحمراء قبل أن يرحل إلى فرنسا مرة ثانية.

في فرنسا اشتغل في معمل للبلاستيك، كما دخل في تربص من سنة 1956 إلى 1958 في الإذاعة و التلفزة الفرنسية عمل كمخرج إذاعي. كما كتب عدة تمثيلي للبي بي سي.

بعد الاستقلال:

بعد ثلاثة أشهر من نيل الجزائر استقلالها، يقرر عبد الحميد بن هدوقة العودة إلى الجزائر حيث حط رحاله بالجزائر العاصمة في أكتوبر 1962، ليلتحق مباشرة بالإذاعة والتلفزيون الجزائري و يقوم بتأسيس الفرقة الفنية التابعة للإذاعة و التلفزيون الجزائري التي كانت تضم أغلب الممثلين و الفنانين الجزائريين، قبل أن يتقلد عدد من المناصب في المؤسسة منها مدير للقناة الأولى و الثانية الناطقة باللغة الأمازيغية.

في 19 سبتمبر سنة 1990 ينتخب ضمن أعضاء اللجنة المديرة المنبثقة عن المؤتمر الخامس لاتحاد الكتاب الجزائريين كما انتخب أمينا عاما مساعدا و رشيد بوجدرة أمين عام.

تقلد منصب المدير العام للمؤسسة الوطنية للكتاب ثم رئيسا للمجلس الأعلى للثقافة قبل أن يعين عضوا و نائب رئيس المجلس الاستشاري الوطني من قبل الرئيس الراحل محمد بوضياف.

بعد اغتيال الرئيس محمد بوضياف، يصبح عبد الحميد بن هدوقة رئيسا للمجلس قبل أن يقدم استقالته في 26 جويلية 1993.

في 21 أكتوبر 1996، و بعد مقاومته لمرض عضال ألزمه الفراش لحوالي أربعة أشهر بمستشفى مصطفى باشا، يرحل عبد الحميد بن هدوقة عن عمر يناهز ال 71 عام، تاركا وراءه إرثا ثقافيا و فنيا و فكريا معتبرا، و أصبح أحد الأدباء الكلاسيكيين للجزائر.[1]

بدايات عبد الحميد مع االكتابة و التأليف:

بدأت في سنة 1951، لكن بعدما سقط طريح الفراش حين كان في مرسيليا يعمل بالمصنع تحويل البلاستيك بدأ يفكر فعلا في الكتابة و التأليف.

و بين سنة 1955 و 1958 بدأ يؤلف تمثيليات إذاعية باللغة العربية للبي بي سي و أو أر تي أف BBC و ORTF

عندما كان في تونس، ألف عدة مقالات للمجاهد.

و بطلب من الحكومة الجزائرية المؤقتة ألف كتاب يحمل عنوان (الجزائر بين الأمس و اليوم) الذي صدر في تونس في سنة 1958.

سنة 1960، ألف مجموعة قصصية تحت عنوان الظلال الجزائرية صدرت في بيروت عن دار النشر دار المكتبة الحية

[1] ينظر: الموقع الإلكتروني الخاص بعبد الحميد بن هدوقة،الرابط: https://www.benhedouga.com/content/%D8%A7%D9% ،يوم 19-02-2021، الساعة 9:41 .

و في سنة 1960 أيضا، صدرت له الأشعة السبعة عن الشارقة القومية بتونس،

في سنة 1967، تصدر الأرواح الشاغرة، مجموعة شعرية عن المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر في سنة 1971، تصدر له أول رواية هي "ريح الجنوب عن المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر و التي ستترجم إلى الفرنسية في سنة 1975 من قبل مارسيل بوا، ثم إلى حوالي 20 لغة، منها الاسبانية و الإيطالية و الألمانية و الهولندية و الروسية و الصينية و عدة لغات أخرى. [1]

في سنة 1975، صدرت له ثاني رواية و هي نهاية الأمس المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر

و التي ستترجم في سنة 1977 إلى الفرنسية من قبل مارسيل بوا و عدة لغات أخرى.

في سنة 1974، تصدر له المجموعة القصصية الكاتب و قصص أخرى المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر.

في سنة 1980 تصدر له ثالث رواية بان الصبح التي ستترجم في سنة 1981.

أدب عبد الحميد بن هدوقة:

يقول عبد الحميد بن هدوقة عن أدبه: " حاولت في ما كتبته على تواضعه، أن أعالج نقاط التأزم الرئيسية في الوضع الجزائري بصفة تدخل أكبر قدر من المستقبل في الحاضر، و تبتعد عن المضامين الجاهزة و الأشكال النابعة من مراكز خارجية، اعتقادا مني بأن الانطلاق من المعطيات التاريخية المحلية لكل قطر عربي لو روعيت في أعمالنا الأدبية لأرجعت لنا شيئا من الكرامة، و جنبتنا كثيرا من مزالق الاستلاب، فالثقافة العربية التي عاش العالم على كرمها الروحي ما يقرب من الألف سنة لا تستحق هذا الواقع الذي وضعها فيه تخلفنا المادي و السياسي. إن هذه الاهتمامات هي

[1] ينظر: الموقع الإلكتروني الخاص بعبد الحميد بن هدوقة،الرابط: https://www.benhedouga.com/content/%D8%A7%D9%
،يوم 19-02-2021، الساعة 9:55 .

التي جعلتني في كل أعمالي الأدبية أعمل على معالجة الواقع المتأزم و الجوانب المظلمة في حياتنا الاجتماعية مبتعدا بقدر الإمكان عن الاغتباط بما حققناه من إيجابيات"

كما يقول أيضا " أحاول أن آخذ من الواقع جزئيات متأزمة أبني منها واقعا فنيا لايختلف عن الواقع المعيش (...) أقوم بصياغة شخصيات تأليفية فأحدد مميزاتها الأساسية ريفية أو مدينية، أتخيل لباسها، ملامحها، بشرتها، طبقاتها. ثم أخص كل منها بجذاذة فنية أضمنها [1]سلوكها، تعاملها و عوائدها. وبعدها أبحث عن نوع العلاقات بين مختلف الشخصيات حتى تكون منطقية أخلق الصراعات والروابط. ثم أقوم بخطة العمل الروائي."

وفي دراسة تحليلية مطولة قام بها الناقد الجزائري الطيب لعروسي مدير بالمعهد العربي بباريس، قال إن عبد الحميد بن هدوقة قد يكون الأديب الجزائري الوحيد من جيله الذي تناول المرأة بشجاعة دون نفاق. لم يكن يكتب ليرضي أو ليستجيب لرغبات سياسة متفاوتة في التفاؤل، بقدر ما كتب عن الأوضاع الجزائرية من أعمق الأعماق، فبالإضافة إلى كونه أحد المؤسسين للرواية العربية في الجزائر، نراه يعالج موضوع المرأة دون لف أو دوران، فكتب عنها و عن جسدها في روايته " ريح الجنوب" التي أدخل فيها المرأة كإنسان له دوره الكامل و دخلت كجسد"

أما أحلام مستغانمي فتقول " إن رواية ريح الجنوب هي أول عمل إبداعي أدخل فيه المرأة – لها جسد و شهوات إنسانية، و أنها عضو فعال في المجتمع الجزائري"

و يقول الناقد الفرنسي جان بول ايفري إن عبد الحميد بن هدوقة جزائري حتى النخاع لأنه يعكس هموم الطبقات و الشرائح الاجتماعية و طموحاته عبر أعماله الأدبية، شعرا أو رواية، و وضع المرأة في المقام الأول، ذلك أنها أهم مدرسة، فالمرأة احتلت المكانة التي يجب أن تحتلها لا غير في أعمال بن هدوقة.

---

[1] ينظر: الموقع الإلكتروني الخاص بعبد الحميد بن هدوقة،الرابط: https://www.benhedouga.com/content/%D8%A7%D9%، يوم 19-02-2021، الساعة 9:41 .

و يضيف الطيب لعروسي أن المتتبع والملاحظ للمشهد الثقافي و الفكري الجزائري يستخلص العوامل المشتركة بين عبد الحميد بن هدوقة و مصطفى لشرف. فكلاهما ينتقدان السلطة من داخل الساحة دون انتهازية و دون تملق للسلطان. و لعبد الحميد بن هدوقة موقف واضح من المثقف الجزائري الذي كان دائما يفكر من داخل السلطة الجزائري " و هي لم تكن تقيم له أي وزن له لأنها ليست مثقفة و لأنها لا تقرأ و القاعدة القارئة لم تكن تشكل لها في جزائر السبعينيات (قضية التعريب) أي وزن" " فهم الحكام كان و لا زال السلطة و المسؤلية، و السلطة كانت دائما أجنبية عن الثقافة "

ريح الجنوب

أرخها عبد الحميد بن هدوقة في 05 نوفمبر 1970، و نشرت في 1971، و بذلك و بإجماع جميع النقاد، تعد أول رواية جزائرية مكتوبة باللغة العربية. عدد صفحاتها في طبعتها الأولى 266 و صدرت عن المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر. ترجمت في 1975 من قبل صديقه مارسيل بوا و حولت لفيلم سينمائي من إخراج سليم رياض.

قال عنها الناقد الجزائري الكبير، الدكتور عبد الله ركيبي، " و بالجملة فإن الرواية فيها الشيء الكثير مما يمكن أن يقال من حيث أسلوبها و موضوعها و محتواها فالمؤلف فيها ألم بحياة الناس في القرية...تحدث عن الفرد و عن روح الجماعة، عن الماضي القريب و البعيد أيضا تحدث عن الواقع و المستقبل... و كان معلما أحيانا و فنانا أحيانا كثيرة و في كل ذلك كان رائده خدمة الأدب و المجتمع و التأصيل لفن الرواية العربية و ما هذا بالقليل..."

يمكن القول أن الكاتب حاول في هذا العمل أن يؤرخ و يرسم كل زوايا القرية الجزائرية، فنفيسة ابنة الاقطاعي التي تتعلم بالعاصمة، يتعرض مستقبلها للخطر فوالدها عابد بن القاضي يسعى لأن لا تطاله قوانين الإصلاح الزراعي الوشيكة الوقوع، فيقرر تزويجها من رئيس البلدية المنفذ لهذه القوانين، و المرتبط بعلاقات قديمة متفاوتة الدرجة و النوع مع ابن القاضي الذي لم يكن تاريخه ابان الثورة التحريرية تاريخا نقيا كما هو حال رئيس البلدية.

و نفيسة يخنقها جو القرية الرتيب الثقيل الخالي من الحركة و الحياة الصاخبة التي ألفتها في العاصمة، لذلك ما أن تعرف بقرار الأب حتى يزداد نفورها من القرية، و تهرب باتجاه العاصمة، فتضل الطريق ليلقاها الحطاب رابح الذي كان يعمل راعيا لأغنام والدها، و صدته و صدمته بعد أن حاول الاعتداء عليها حين فسر مجاملتها له بأنها دعوة شهوة.

يعود بها رابح إلى بيته في القرية بعد أن ينقذها من لدغة أفعى في تلك الغابة التي ضلت فيها، فيصل خبر وجودها إلى الأب الحائر الباحث عن ابنته الهاربة، فيقتحم المنزل، فيكون اشتباك تتدخل فيه أم رابح الخرساء لتحسمه لصالح ولدها، كل ذلك يجري و رئيس البلدية لا يحرك ساكنا فنحن نعرف موقعه و لا نعرف موقفه، قلبه مع البؤساء و سيفه ليس معهم، لا يكره نفيسة و غير متحمس لغرض والدها... إذن يمكن القول أن زوايا اللوحة الاجتماعية هي الاقطاع و المرأة و السلطة و البؤساء مثلتها شخصيات تتحرك و تتفاعل من موقعها مع بعضها البعض، لتكون الحدث الدرامي نفسه و لتؤكد لنا موقف الكاتب نفسه أيضا.

هذه الرواية سيحولها المخرج سليم رياض إلى فيلم سينمائي غير انه اختار نهاية مخالفة لما كانت عليه في الرواية حيث يمكن بطلة الفيلم نفيسة من الهروب و الإفلات من قبضة والدها بمساعدة رابح الراعي. و كانت نهاية الفيلم في أن تتمكن نفيسة رفقة رابح من الركوب في الحافلة المتجهة نحو العاصمة فيما كان والد عابد بن قاضي يلاحقها ممتطيا فرسه فيتمكن من اللحاق بالحافل التي أقلعت لكن سرعان ما تتجاوزه و تبتعد عنه بمسافات و يفشل في إلقاء القبض على نفيسة.

- الطاهر وطار:

روائي جزائري له إسهامات بارزة في المشهد الأدبي والثقافي والمسرحي، لقب بـ"رائد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية". اعتنق المذهب الماركسي ودافع عن الفكر اليساري بالجزائر، وهو مؤسس جمعية الجاحظية.

المولد والنشأة

ولد الطاهر وطار يوم 15 أغسطس/آب 1936 في منطقة "عين الصنب" الواقعة ببلدية سافل الويدان بمحافظة سوق أهراس، 500 كيلومتر شرقي الجزائر العاصمة.

الدراسة والتكوين

عاش في بيئة استعمارية لم يسمح فيها للأهالي سوى بقسط من التعليم الديني، وهو ما جعله يلتحق بمدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1950 وكان ضمن تلاميذها النجباء، بعد ذلك أرسله والده لمدينة قسنطينة ليدرس بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس وذلك عام 1952.[1]

مع اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر عام 1954 سافر إلى تونس ودرس لمدة قصيرة بجامع الزيتونة، وفي عام 1956 التحق بالثورة الجزائرية وانضم لصفوف جبهة التحرير الوطني، وظل مناضلا فيها كعضو في اللجنة الوطنية للإعلام، ثم مراقبا وطنيا إلى غاية 1984، بعد أن أحيل على التقاعد المبكر وهو في سن السابعة والأربعين.

الوظائف والمسؤوليات

شارك في تأسيس العديد من الصحف التونسية على غرار صحيفتي "النداء" و"لواء البرلمان"، وعمل في يومية الصباح ومجلة الفكر التونسية، وأسس في 1962 أول أسبوعية في تاريخ الجزائر المستقلة تسمى "الأحرار"، أوقفت بقرار جزائري رسمي.

وفي 1963 أسس أسبوعية "الجماهير" وأوقفت هي الأخرى من طرف السلطات، وفي 1974 أسس أسبوعية "الشعب الثقافي" التابعة لجريدة الشعب، وأوقفت أيضا بعد أن حاول جعلها منبرا للمثقفين اليساريين.

---

[1] ينظر الموقع الإلكتروني لقناة الجزيرة :
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/9/23/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D9%88%D8%B7%D8%A7%D8%B1
يوم :20-02-2021

كما شغل منصب مدير عام الإذاعة الجزائرية (1991.1992)، وبعد إحالته على التقاعد أسس وتفرغ لتسيير جمعية "الجاحظية" عام 1989 التي تحولت إلى منبر للكتاب والمثقفين لإبداء آرائهم خلال سنوات التسعينيات زمن العنف المسلح.[2]

التجربة الأدبية

يعد من الأقلام الثائرة المتمردة، وقد تجسد ذلك في رواية "اللاز" عام 1974 التي انتقد فيها الثورة الجزائرية من الداخل، وانتقد اغتيال المثقفين ولا سيما اليساريين منهم.

حاكم في روايته "الزلزال" النزعة الإقطاعية وانتصر لقانون تأميم الأراضي الذي أقره الرئيس هواري بومدين، وفي السياق نفسه عارض إلغاء الانتخابات التشريعية في عام 1992 التي فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

اتهم من طرف "المتفرنسين" بمحاباة الجماعات المسلحة وبالتعاطف مع الإسلام السياسي، بعد أن اعتبر اغتيال الروائي الطاهر جاووت الذي لم يكتب إلا بالفرنسية عام 1993 خسارة لفرنسا وليس الجزائر.

المؤلفات

ترك وطار إرثا أدبيا زاخرا، وترجمت أعماله إلى أكثر من عشر لغات أهمها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليونانية.

ومن أبرز رواياته: الزلزال، والحوات والقصر، والعشق والموت في الزمن الحراشي، وعرس بغل، والولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، إضافة إلى قصيدة في التذلل، كتبها على فراش المرض وتطرق فيها إلى علاقة المثقف بالسلطة.

كما ألف عدة قصص طويلة أهمها: الطعنات، والشهداء يعودون هذا الأسبوع، ودخان من قلبي، بالإضافة إلى أعمال مسرحية من قبيل: على الضفة الأخرى، والهارب.[1]

---

[2] ينظر ، المرجع السابق.

وقد حُول عدد من أعماله إلى أفلام ومسرحيات، منها "قصة نوة" (من المجموعة القصصية دخان من قلبي) التي تحولت إلى فلم من إنتاج التلفزيون الجزائري حصد عدة جوائز، كما حولت قصة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" إلى مسرحية نالت الجائزة الأولى في مهرجان قرطاج الدولي.

الجوائز والأوسمة

حصل على عدة جوائز وأوسمة جزائرية وعربية ودولية، أبرزها جائزة الشارقة لخدمة الثقافة العربية عام 2005، وجائزة منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو) للثقافة العربية في نفس العام، وجائزة مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية للقصة والرواية 2010.

الوفاة

توفي الطاهر وطار يوم الخميس 12 أغسطس/آب2010 عن عمر يناهز 74 عاما بإحدى العيادات في الجزائر العاصمة بعد معاناته من مرض عضال.[1]

---

[1]ينظر: المرجع السابق.
[1] ينظر: المرجع السابق.

المحاضرة -03-

أشكال الكتابة الروائية في الجزائر.

أرست الرواية الجزائرية قواعدها الحقيقية منذ مطلع السبعينيات،حيث بدأت عملية البناء بعد الاستقلال ،بما في ذلك بناء سردية تخطو بثبات في عالم المتخيل السردي العربي و العالمي.

فترة السبعينيات والخطاب الروائي المؤدلج:

عرفت فترة السبعينيات توجها مؤدلجا للمتن الروائي الجزائري بعدما شهد الوضع الثقافي فترة من الركود والتصحر.

لقد مثلت هذه الفترة البداية الحقيقية لميلاد نص روائي جزائري ،ينهض من واقع جزائري خالص آنذاك ،حيث شكلت رواية ريح الجنوب الاكتمال الفني للرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر،وبهذا الصدد يقول واسيني الأعرج:" إلا أّننا لا ننفي المحاولات الأولى التي سبقتها والتي ذكرناها سابقاً والتيكانت مع "أحمد رضا حوحو" و"محمد بن إبراهيم"، و"عبد . المجيد الشافع"[1].

– رواية ريح الجنوب:

لقد عالجت هذه الرواية موضوعا اجتماعيا تدور أحداثه في "الريف الجزائري" حيث تناولت مشكلة حرية المرأة وتحرير الأرض من السيطرة والحكم واعتبرت الرواية انجازاً فنياً من انجازات الواقعية الانتقادية حاول فيها "عبد الحميد بن هدوقة" تشريح الواقع قلباً وقالباً على كل المستويات ووقائع الحياة اليومية، ومظاهرها.[2]

---

[1] ينظر: واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ، ص 96.
[2] ينظر: المرجع نفسه،ص98.

من خلال التتبع لتجربة بن هدوقة نجد أنه " سعى ... إلى تصوير الواقع الاجتماعي بتناقضاتها المختلفة، حيث كانت روايته الموسومة بـ "ريح الجنوب" مرآة عاكسة لما يجري في الحياة الاجتماعية، فلم يقم الروائي بتصوير الواقع تصويرا فوتوغرافيا، بل قام بصياغة هذه الأحداث، والوقائع صياغة فنية جديدة. فلقد تبنى الروائي "الصراع الايديولوجي"، وكشف عن معاناة الطبقة الفقيرة، وعبر بواقعية، وصدق عن هذه المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري، فهذه المعاناة التي عايشها لا تنحصر في استبداد المستدمر، وقهره لهذه الطبقة المحرومة، بل نجد أيضا الطبقة الإقطاعية، التي هي من صنع الاستدمار. كما كتب الروائي هذه الرواية، وهو متشبع بايديولوجية الحزب الواحد، الذي فرض وحدة الفكر، ووحدة العمل. طغت روح التفاؤل على الرواية، كما يؤمن بها الروائي أشد الإيمان جاعلا هذه الروح عالقة في أذهان القراء. كانت لغة الروائي معبرة بصدق عن البيئة الريفية، وما عانته من ويلات الاستدمار. فـ "الواقعية الاشتراكية" التي تبناها الروائي لا تحكي لنا قصصا مسلية، بل تروي لنا صراع الإنسان ضد الطبيعة، حيث وظف الكاتب لغة هادئة تحمل دلالات تعبر عن النهج الايديولوجي، والسياسي المتمثل في المنهج الاشتراكي، الذي يسعى الكاتب إلى توضيحه، فالمضمون الغارق في المباشرة الواقعية مرتبط بالفلسفة الماركسية" [1].

-زمن الثمانينيات والتسعينيات،القلق الفني والتجريب:

كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل هذا الجيل اتجاه تجديديا حديثا في هذا النمط الأدبي الجزائري، ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر روايات واسيني الأعرج مثل "وقع الأحذية الخشنة " سنة 1981 م، و "أوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983 م، وراوية " نوار اللوز" أو " تغريبة صالح بن عامر الزوفري" سنة 1982م، التي يستثمر فيها التناص مع تغريبة ابن هلال وكتاب " المقريزي" "إغاثة الأمة لكشف الغمة"[1]. كما أخرج واسيني الأعرج نمطا روائيا آخر في هذه الفترة تحت عنوان "ما تبقى

[1] الجمعي بن حركات ، الصراع الإيديولوجي في رواية "ريح الجنوب" لـ "عبد الحميد بن هدوقة، مجلة علوم اللغة العربية ،جامعة الوادي،مجلد 9،عدد2،ص47.

[1] الموقع الإلكتروني ديوان العرب:،شادية بن يحيى، الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع https://www.diwanalarab.com .

من سيرة لخضر حمروش "سنة 1983م،الذي يهدر فيها دم الشيوعي "لخضر" وهو من الشخصيات السياسية الأساسية في هذه الرواية،كان شيوعيا نقد الحكم بذبحه ذلك المجاهد البسيط "عيسى" زمن الثورة وهذه الرواية مثلت النظرة النقدية للتاريخ الرسمي الجزائري.[2]

كما كتب الحبيب السايح رواية" زمن التمرد" سنة 1985 م، ومن الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضا أعمال الروائي جيلالي خلاص رواية "رائحة الكلب" سنة 1985م، و روايته "حمائم الشفق" سنة 1988م، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش روايته "البزاة "سنة 1982م، و"عزوز الكابران"سنة 1989 م، الذي يقف فيها شيخ الجامع وهو شخصية من شخصيات الرواية يعد رمز للتيار السلفي المتضامن مع النزعة الوطنية، ممثلا للفكرة الوطنية الموحدة في الجوانب الإيديولوجية المتباينة، في هذه الرواية يلتقي المعلم وهو من الشخصيات الأساسية بهذا الشيخ في الزنزانة وقت صلاة الظهر حيث يؤنب شيخ الجامع هذا المعلم و يخبره بأنه غير راض عليه، لأنه في رأيه لا يعلم الأطفال ما ينبغي تعليمه وهو أن يعلمهم الحقيقة و كذا التمرد على حاكم مثل «عزوز الكابران».[3].

لقد تميزت الرواية في فترت التسعينات حيث "ظهرت في مرحلة متأزمة من تاريخ الجزائر عُرفت بالأزمة، وجد فيها الكُتاب مناخا مناسبا ومادة دسمة لأعمالهم الإبداعية بخاصة الروائية منها، باعتبارها أكثر ملامسة وارتباطا بالواقع، وأكثر قدرة على نقل المأساة الوطنية في قالب فني إبداعي يهيمن عليه البعد الأيديولوجي، بلغة تتراوح بين الشعرية والخطابية، فجاءت بداية التسعينيات إيذانا لبدء مرحلة جديدة في الكتابة الروائية ميزتها عن رواية السبعينيات والثمانينيات، سواء على مستوى المضمون أو الشكل، إذ كشفت روايات هذه الفترة عن التوجهات الأيديولوجية السائدة التي نتج عنها صراع حاد في مستوى الأفكار بين فئات مختلفة وهذا ما ستحاول هذه الدراسة الكشف عنه من خلال أبرز التيمات التي ميزت رواية التسعينيات والمتمثلة في: تيمة المثقف ومعاناته في رواية التسعينيات الجزائرية ، الأيديولوجيا وتجلياتها في رواية التسعينيات، تيمة العنف وصوره في رواية التسعينيات"[1].

---

[2] نفس المرجع الإلكتروني.

[3] نفس المرجع الإلكتروني .

[1] غنية بوحرة، أبرز التيمات في رواية التسعينات الجزائرية(مقدمة المقال)،مجلة اللغة العربية وآدابها،مجلد1،عدد2،جامعة البليدة،ص105.

– سيدة المقام كحالة معبرة عن هذه الفترة:

يعد الرجل الصغير ، كما ورد اسمه في رواية **"سيدة المقام"** نموذجا للمثقف العضوي الذي،وقف صامدا في وجه عديد الجبهات،التي تريد محوهُ من خريطة الوطن ،لأنه بصوته الحر يزعج الأوصياء الجدد على الوطن.

تتناول الرواية "الرجل الصغير"،بالعودة لطفولته :" أيها الرجل الصغير ،أمك هي التي أسمتك الرجل الصغير، في الطفولة كنت تركب قصبة هي حصانك الذي يطير.وعندما تضعها على ظهرك في شكل سلاح ناري ،بندقية ، تدخل البيوتات الواطئة لعماتك وخالاتك.تسأل "كانش رجّاله؟".كانت البلاد تخوض حربا مميتة.تتضاحك النسوة (...)قالت لك أمك أيها الرجل الصغير. ستكبر ، ويكبر معك الهم وتسرقك الأدغال وتجبر على نسيان حنين الأمومة(...)والدك كان يغريك بلباسه العسكري وسلاحه،(...)فالبلاد استقلت قبل أن تكبر.وليلتها حزنت كثيرا.سالت أمك :خلاص الحرب كملت؟وكيفاش راح نصير جندي؟ تعذبك الذاكرة.وتؤذيك هذه الأجواء التي لا ينتهي حنينها"[1]،يعود بنا النص إلى فلسفة الفروسية المتجذرة في الذات العربية ،إذ يتجلى ذلك الإسم–الرجل الصغير– من خلال سياقه ودلالته ،حيث الحلم باكتمال العُود؛ كي يحقق هذا الطفل ذاته في القبيلة من خلال تفوقه بين أقرانه.

يؤشر هذا المقطع إلى الذاكرة البريئة،من خلال الإشارة إلى البيوت الواطئة التي تدل على الأمن والأمان ،والبركة والبساطة ، رغم أن البلاد كانت تخوض حربا طاحنة وغير متكافئة.يحلم الرجل الصغير بأن يلبس بدلة أبيه العسكرية ،ويحارب الفرنسيين ولكنه يبكي بحرقة على انتهاء الحرب التي انتهت ،لأنه لم يشارك فيها لدحر العدو؛ليكبر ويشهد حرب الأخ مع أخيه ،ويرى حمام الدم الذي أصبح عادة هذا الوطن،الذي ينتحر وينحدر إلى الهاوية. إنها بداية قصة الرجل الصغير الذي أصبح مثقفا وأستاذا بالجامعة.

[1] واسيني الأعرج، سيدة المقام - مراثي الجمعة الحزينة-، ورد للطباعة و النشر و التوزيع، ط5،2006،واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص16،17.

المحاضرة -04-

الرواية الجزائرية والتجريب.

- **مفهوم التجريب الروائي:**

يعتبر التجريب اتجاها جديدا في استخدام التقنيات الروائية، اعتمده الأدباء المعاصرون من أجل تجاوز واقعهم الفني المستهلك والنمطي إذ يعد مشروع رؤية فنية تحث على الاجتهاد والفضول والمغامرة وعدم التسليم والقناعة بما هو جاهز من الأشكال والرؤى وأنماط التعبير، أي البحث عن شكل جديد للرواية واستكشاف عوالم فنية تخص هذا الجنس الأدبي، لم يسبق الولوج إليها،بمعنى صياغة عوالم وآليات فنية جديدة غير تلك التي عهدها القارئ وترسخت في ذهنه لسنوات طوال "فالتجريب يسعى إلى تدمير سلطة السائد والمألوف الفني ثقافيا واجتماعيا بالبحث عن إجابات جديدة غير تلك التي جفت وكلّت،إنها الثورة على القديم بكل أشكاله"[1].

والتجريب كمصطلح يعد من أبرز المصطلحات الجديدة التي باتت تفرض نفسها على الساحة الأدبية والنقدية خاصة حينما يتعلق الأمر بالتعرض لقضية من القضايا المعاصرة.

---

[1] نوال بومعزة،أسئلة الكتابة وتقنيات التجريب الروائي في الأدب الجزائري الجديد –شتاء لكل الأزمنة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،جامعة الشهيد حمة لخضر،العدد04،ص253.

يصعب تقديم مفهوم شامل لهذا المصطلح-التجريب- كونه مصطلحا فضفاضا يرتبط بالعديد من المجالات خاصة المجال العلمي، وتجدر الإشارة إلى أن التجريب في المجال الأدبي أو الفني يختلف عنه في المجال العلمي ففي الأدب يكون عن طريق توظيف أساليب وتقنيات إنشائية ترتكز بدرجة كبيرة على اللغة وطريقة التعبير أما من الناحية العلمية فيكون ذلك بالتركيز على الجوانب الملموسة واستنتاج القوانين والنتائج.

؛ فالتجريب في اللغة مشتق كما هو معروف من الفعل " جرّب " الذي يحمل معنيين هما

الاختبار والمعرفة فمن خلال الاختبار تولد المعرفة ويتم العلم بالشيء، كما أنه من المفيد النظر إلى التجريب في الأدب كما في الفنون الأخرى، كمنهج راديكالي لمهمة إزالة الألفة المستمرة دائما.

أما من الناحية الاصطلاحية فإنه يعد قرين الإبداع لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغامر في قلب المستقبل بمعنى اختراع وابتكار طرق جديدة لم يسبق التطرق إليها من قبل، و يعد إميل زوالا أول من استخدم هذا المصطلح في كتابه المعروف ب" الرواية التجريبية " والتي اعتمد فيها على القواعد العلمية التي توصل إليها من خلال أبحاثه و البد من التفريق بين مصطلحي الرواية التجريبية والتجريب الروائي حيث أن ، الرواية التجريبية عمل تغييري ينطلق من وعي الكاتب ومن مفهوم جديد لديه لتأليف الرواية، أما التجريب الروائي فهو فعل محدود داخل مفهوم الرواية السائدة يعبر به الكاتب عن ذوق شخصي في التأليف أو التصوير أو اختيار الموضوع ،ويستقي أشكاله من نفسه أو من تجارب حاصلة خارج بيئته،بمعنى أن الرواية التجريبية تمس التأليف الروائي ككل في حين أن التجريب الروائي يتمثل في الحفاظ على هيكل الرواية المعروف وإنما إحداث خلخلات وانزيحات في مفاهيم بنيتها فقط مع الحفاظ على هويتها وشكلها[1].

الرواية الجزائرية ورهانات التجريب:

[1] ينظر :مجموعة من الكتاب ،الرواية العربية -ممكنات السرد-أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،ج1،2008،ص122.

تخلصت الرواية الجزائرية الجديدة من تقديس النمط السردي الماضوي وراحت تنحت لها بنية جديدة تنافس بقية الأعمال السردية من حيث الجودة و كذا مستوى اللغة والتقنيات.

ولعل أبرز المستويات التي راهنت عليها الرواية الجزائرية هي اللغة ومستوياتها و الاشتغال على الشخصيات والزمن والفضاء وغيرها من المستويات.

لعلَّ أول ما يلفت إنتباه المتابع للمشهد الروائي الجزائري هو الإختلاف في المستوى اللغوي، إذ أن الكتابات الجديدة برمتها تعتمد على مستويات مختلفة تاريخية وعلمية ، كما تستعين باللغة الشعرية، حيث كسر الجيل الجديد النمط الكلاسيكي في بناء السرد ، جاعلاً أهمية قصوى لشعرية السرد على حساب الموضوع والتفاصيل السردية :" فالرواية الجديدة تهتم بالنص والمضمون الإبداعي اللغوي بشكل كبير، وتنظر للواقع بنظرة نقدية ذات بعد، مع الإهتمام بتقنية السرد واللغة" ولعل من يمثل هذا الاتجاه واسيني الأعرج الذي نجده يشتغل على اللغة بكل محمولاتها الثقافية والجمالية والتواصلية ويتجلى هذا في روايته سيدة المقام .

- **التجريب عند الطاهر وطار:**

أمّا التجريب في الرواية "العشق والموت في الزمن الحراشي الكتاب الثاني للاز"، فيتجلّى بالأساس في استثمار الأسطوري في الروائي، بتحول شخصية اللاز اللقيط في رواية "اللاز" إلى ولي صالح، ينسب إليه الخرافي من الحكايات، والعجيب من الأفعال، إذ يتجاوز حود الزمان والمكان ليقترن بالمطلق واللانهاية، فيكون رمز الحقيقة/ الجوهر. ويستثمر الكاتب– في ذات السياق– التراث وأعلامه، المخلّي منه خلال حضور كاتب ياسين وجميلة بو حيرد، والعالمي عبر استعادة شخصيات بابلو نيرودا ومايكوفسكي وكامي وهمنغواي وبراهما وشكسبير وغيرهم، مما يجعل وعي الطاهر وطار بالتراث يتجاوز حدود المحلية الضيقة غلى العالمية، كما يستثمر نوع المذكرات من خلال قيام الطالبة المتطوعة جميلة بتدوين مذكرات المناضل، الشباح المكي، فضلا عن توظيف المثل/ اللازمة في رواية "اللاز" ما يبقى في الوادي غير

حجاره"، مجددا، وعديد الأمثال الجزائرية الأخرى، إلى جانب حضور الذات الكاتبة شخصية روائية، تعبر عن ذات النقدية لسلطة الاستقلال في جزائر السبعينات، وما آلت إليه الثورة من مظاهر انحراف عن الأصيل من مبادئها التي بشرت بها زمن حلاب التحرير. وهي الثورة التي يدركها الطاهر وطار فعلا متجددا وفي صيرورة دائمة .

- **التجريب عند رشيد بوجدرة:**

يوغل التجريب لدى رشيد بوجدرة في مسالك المغامرة الشكلية عامة واللغوية خاصة، من خلال اشتغاله على اللغة بأفق حداثي، يحولها من أداة إبلاغ/ وتواصل إلى فضاء إبداع، يخترق الكائن من تجلياتها الكامن من طاقتها.

توحي رواية "التفكيك"- أولى نصوص رشيد بوجدرة المكتوبة بالعربية-، بطابعها التجريبي، حيث سيتأكد لاحقا تعمد كاتبها تفكيك نسق سردها وخطابها، مما يشكل علامة دالة على حداثتها من خلال اختراقها لنظام السرد التقليدي القائم على التعاقب لا على التداخل. ثم إن بنية شكلها توزعت على أحد عشر فصلا لا تحمل أرقاما ولا عناوين، يمكن إعادة ترتيبها على غير الشكل الذي وردت عليه. واستثمر الكاتب الصورة/الوثيقة، في تشكيل عالم روايته. وهي صورة لخمسة مناضلين شيوعيين، هم بو علي طالب، والدكتور كينون، وأحمد أنيال، ومحمد بودربالة، والطاهر الغمري، استشهد بعضهم زمن حرب التحرير، وتمت تصفية البعض الآخر من قبل جبهة التحرير الوطني الجزائري، وتمكن آخرهم -الطاهر الغمري- من النجاة ليتولى سرد قصص نضاله ورفاقه

-التجريب عند واسيني الأعرج:

يقطع التجريب مسافات أبعد وأغوارا أعمق في رواية "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف- رمل الماية"، حيث يستثمر الكاتب نص "ألف ليلة وليلة"، بحثا عن سحر جديد للحكاية من خلال التراث عبر غواية السؤال، ولذة المجادلة، وفتنة الاختراق لهذا النص/ الأصل، على أكثر من صعيد. فمنذ العنوان يتم اختراق عدد الليالي بإضافة ست إليها، بحجة غياب الدليل على انتهاء حكايات شهرزاد عند حدود الليلة الأولى بعد الألف، ومن ثم يتم التركيز على

الليلة السابعة بعد الألف، ووردت الليلة الأولى بعد الألف، ومن ثم يتم التركيز على الليلة السابعة بعد الألف، ووردت الليلة مقترنة بالفاجعة، مما يفيد أن زمن الموت لم ينته عند حدود الليلة الأولى بعد الألف، بتوقف شهرزاد عن الحكاية، بل نجده يتواصل مع أختها دنيازاد التي تقوم مقامها، فتواصل الحكاية طوال الليلة السابعة بعد الألف، وهي ليلة استمرت زمنا لامحدودا على خلاف الليالي الألف لتفترن بالمطلق، فتتحول بذلك دنيازاد من الصمت إلى النطق، لتكشف عن الحقائق التي تعرفها عن الملك/ شهريار وعن الأسرار التي كانت أختها شهرزاد تخفيها عن مولاها شهريار خوفا من بطشه. وهو ما جعل الحكاية تخسر سحرها منذ أن تآلفت شهرزاد مع ملكها. فيكون بذلك الانزياح عن النص/ الأصل، بتبادل الأدوار بين شهرزاد ودنيازاد، وبمفارقة حكايات هذه الأخيرة لتلك التي كانت تسردها أختها شهرزاد لشهريار، بحكم امتلاكها جرأة الحديث عن المسكوت عنه، في السياسة، في زمن آخر، غير زمنها الخرافي، هو الزمن الذي نعيشه، فيتم بذلك انزياح الحكاية عن زمنها الأول. فتسرد دنيازاد لشهريار "الفواجع والمواجع والتاريخ الذي نسي (؟) كتاب الدواوين تسجيله في كتاب الأمة. المجلد والمطرز بالقاطيفة الملونة"، وذلك من خلال استثمارها لحكايات البشير الموريسكي قوال غرناطة، عن سقوط ممالك الأندلس وآخرها غرناطة أمام الأسبان، وما نجم عنه من مآسي لحقت بالعرب المسلمين، تشكل حكاية البشير الموريسكي نموذجا دالا عليها،تكشف هذه الرواية ترهينا للتاريخ والخيبات وقراءة للحاضر والمستقبل،إذ تغدو الرواية آداة استشراف ونبوءة لما سيجيء وفق طاقة إبداعية خلاقة بامتياز.